غاندي.. الروح النبيلة

الكتاب: كيف أصبح غاندي
تأليف: جوزيف ليليفيد
ترجمة: إبتسام عبد الله

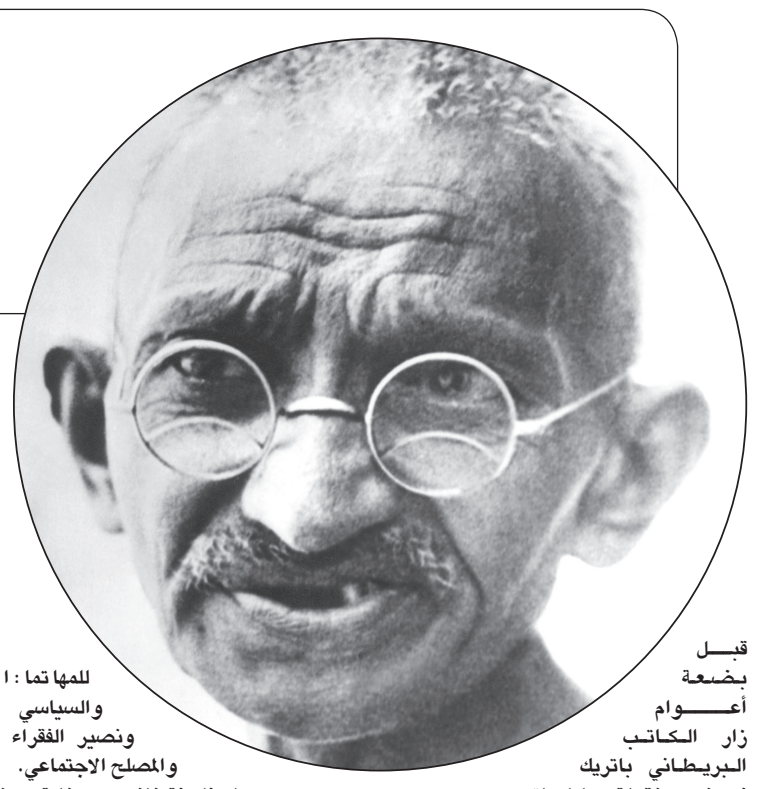

قبل بضعة أعوام زار الكاتب البريطاني باتريك فرينج منقطة ساباراماتي أشرم، في ضواحي احمدي آباد في ولاية كوجارت- الهند، والتي بدأ فيها المهاتما غاندي المسيرة التي أطلق عليها "حملة الملح"، متوجهاً نحو البحر، في عام ١٩٣٠، وفوجئ فريج بقذارة أجزاء من المدينة، علماً إن تعليمات غاندي كانت تركز على أهمية النظافة.

لقد بقيت بعض تلك التعليمات وجاءت غيرها على مرّ الأعوام، وعلى سبيل المثال فإن الأمريكيين، كما يقول المؤلف لا يعرفون عن غاندي، غير ما شاهدوه في فيلم سينمائي يتناول حياته، إن الفيلم الذي مثله بن كينغلي كان جيداً، ونال الممثل عنه جائزة الأوسكار، ولكنه لم يقدم الصورة الحقيقية للمهاتما: الرحالة والسياسي البارع، ونصير الفقراء والمجدّد والمصلح الاجتماعي.

إن فلسفة غاندي هي غاية بحث المؤلف جوزيف ليليفيد ورؤيته الاجتماعية وكفاحه من اجل تطبيق أفكاره على المجتمع الهندي، وليليفيد كاتب أختص بحياة غاندي على جانبي المحيط الهندي، وقد غطى مرحلة حياة غاندي في جنوب إفريقيا لصحيفة نيويورك تايمز (وفاز عن ذلك بجائزة البوليترز عام ١٩٨٦، عن التمييز العنصري)، وامضى أيضاً عدة أعوام في أواخر الستينات، مراسلاً للصحيفة في الهند.

وسيرة حياة غاندي، في الكتاب الجديد لا تغطي كافة مراحل القائد الهندي الراحل، إذ إن القراء يعرفون بلا شك المراحل الأساسية في حياته، وقد تناولتها شعراء الكتب من قبل، وهي أيضاً ليست للمبتدئين، فهو يتناول مراحل أساسية في حياة غاندي في جنوب أفريقيا وفي الهند، منتقلاً من مكان إلى آخر.

إن العقدين اللذين أمضاهما غاندي في جنوب أفريقيا كانا افتتاحية لحياته، ويتناولهما ليلفيد بجدية تستحقانها. لقد كتب غاندي مرة في منتصف حملته ضد سياسية البند، "لقد حاربت ذلك المبدأ في جنوب أفريقيا إنجاً بعد إنج".

وقد استغرق أمر تحويل ذلك المعتقد الضمني واقع ملموس زمناً من حياة المهاتما غانيد، فعندما وصل موهانداس كارا مجاند غاندي الى دوربان من بومباي عام ١٨٩٣، كان في سن الـ٢٣ من عمره، محامياً في مرحلة التمرين، مستأجراً من قبل تاجر هندي مسلم لمتابعة قضاياه في المحاكم، وكان غاندي آنذاك مهتماً بدراسة الأديان وتناول القليل من الطعام، ولم تكن السياسة تقع ضمن تلك الاهتمامات، ولكن جنوب أفريقيا وأحوالها استفزته ودفعته إلى العمل.

وفي بداية الأمر واجه غاندي قوانين التمييز العنصري وأوضاع عمال المزارع وسكة الحديد، الذين كانوا يشكلون آنذاك النسبة الأكبر من المهاجرين الهنود، والحملات التي قادها تحت شعار، "العنف"، تواصلت أعواماً، منادياً بالمساواة بين الملونين والسكان البيض.

وكما يقول المؤلف فإن نتائج حملته تلك في جنوب أفريقيا، لم تكن واضحة أو دائمة- وقد تعرض للضرب، إثر اشتباه في سلوكه وانه يعقد صفقة مساومة مع السلطات الحكومية هناك، ولكن تلك الحملات علّمته كيفية قيادة الجماهير وتحريكها، جماهير الطبقة الوسطى من الهندوس والمهاجرين الفقراء جداً من المسلمين الهنود، وكما قال عن نفسه، "لقد وجد مهمة حياته"، مهمة بدأت أولاً في الدعوة إلى المساواة ما بين الهنود والبيض، ثم ما بين الهندي الفقير والغني.

وهو بعد عودته إلى الهند عام ١٩١٥، أعلن ما أسماه بـ"الأعمدة الأربعة للحكم الذاتي"، وعقد تحالف ثابت وراسخ بين الهندوس والمسلمين، ونشر مبادئ اللاعنف عالمياً، ونشر الحرف اليدوية في القرى الهندية التي يبلغ عددها، ٦٥٠،٠٠٠ تقريباً، مع محاربة فكرة إطلاق تسميات مثل "المنبوذ"، أو "النجس"، على الطبقات الدنيا من الناس.

وفي مسيرته، صادف مجموعات من الأعداء- البعض منهم ظنّه متعاطفاً مع المسلمين، والمسلمون اعتقدوا انه نداءاته وسياسته، هي جزء من خطة هندية، وبريطانيون اعتقدوا أنه ثوري راديكالي، والى غير ذلك من الأمور.

وكان غاندي يعلن في خلال مسيرته، أن الحرية التامة لن تحقق ما لم تلغ الفوارق بين طبقات المجتمع، وما لم يتم الاستقلال التام في الهند.

وغاندي، ما يزال حتى اليوم يدعى بـ"أب الأمة"، في الهند، ولكن تعليماته عن الحرف اليدوية،(النسج) والعيش البسيط، قد تخلى عنها الهنود، والتوتر بين الهندوس والمسلمين ما يزال قائماً، وما تزال أيضاً الفوارق قائمة بين طبقات المجتمع.

ويرى المؤلف أن المأساة الحقيقية في حياة غاندي لا تعود الى اغتياله في النهاية، وليس بسبب نبله الذي ولدّ كراهية في قلب قاتله، أن العنصر المأساوي يكمن في أنه مثل، الملك لير، أرغم في النهاية على رؤية أحلامه لا تتحقق كما تمنى وإنما لم تقدر على إعادة تشكيل العالم.

ويقول المؤلف: إن غاندي كافح والشك يساوره، وخاصة في أيامه الأخيرة، باذلاً جهده في القضاء على التوتر بين طوائف الشعب الهندي المتعددة، وقد كتب قبل ثلاثة أسابيع من اغتياله من قبل احد أفراد طائفته: "علينا اليوم أن ننسى إننا هندوس أو سيخ أو مسلمون.. ولكننا جميعاً نعبد الله".

كان غاندي قائداً ثورياً، طالب في بداية حياته في جنوب أفريقيا بالاتحاد ضد الظلم، وكان ثورياً عندما عاد إلى الهند إبان الحرب العالمية الأولى، وكان ثورياً في عام ١٩٤٧، عندما أعلن استقلال الهند، وهو ما يزال ثورياً في العالم اجمع.

عن/ النيويورك تايمز

رسائل روزا لوكسمبروغ

الكتاب: رسائل روزا لوكسمبروغ
كتابة: روزا لوكسمبروغ
ترجمة: نجاح الجبيلي

عند وصولها إلى منطقة "وايت تشابل" في إنكلترا عام ١٩٠٧ وجدتها روزا لوكسمبورغ المناضلة الاشتراكية من أصل بولندي "مظلمة قذرة". جاءت روزا التي كانت في السادسة والثلاثين إلى لندن من برلين كي تحضر مؤتمر حزب العمل الديمقراطي الاجتماعي الروسي (والذي سرعان ما أصبح باسم الحزب الشيوعي السوفيتي). وكان من بين المندوبين لينين وتروتسكي والقائد المستقبلي صاحب الشاربين اللذين يشبهان شاربي حيوان الفظ المدعو ستالين.

ومثلها مثل تروتسكي فإن لوكسمبورغ كانت مثالاً لليهودي العلماني الجديد لأوروبا. كان والدها تاجر خشب ويعد نفسه متمثلاً ضمن الأغلبية الكاثوليكية. كانت لوكسمبورغ تعد يهوديتها غير مهمة. وهي لم تهتم بالسخرية والأحزان المسلطة على شركائها في الدين في المناطق الروسية. فقد وجهت النقد لصديقتها "ماتليدا فورم" عام ١٩١٧ قائلة: "ماذا تريدين من موضوع "المعاناة الخاصة لليهود"؟. فأنا فقط أهتم كثيراً بالسود المساكين في أفريقيا".

ومع ذلك فمن خلال الحكم على المجموعة الجديدة من الرسائل فإن اليهودية والأمثال الأخلاقية القوية في الحرية والبقاء كانت مؤثرة بها. السخرية والدعابة وحب معرفة "أسلافها" ميزات تراها في نفسها. كتبت هذه الرسائل بالألمانية والبولندية والفرنسية والروسية في سنوات ١٨٩١-١٩١٩ وهي تشرق المعرفة الواسعة (إضافة إلى اللسان اللاذع أحياناً). وأثناء سجنها في برلين بسبب أفكارها المعادية للعسكرتارية قرأت غوته وسرفانتس وأصيبت بالعجب من "مزاج الجني المؤذي المازح في مسرحية "حلم ليلة منتصف صيف". والرسائل مفعمة أيضا بالأوصاف الدقيقة للطبيعة من النحل إلى "النباتات ذات الألف ورقة التي بحجم القزم".

ومثلها مثل العديد من اليهود العلمانيين فقد رحبت بثورة ١٩١٧ ضد حكم آل رومانوف. فقد كتبت إلى صديق من الحزب الاشتراكي الديمقراطي من زنزانتها: "إن أحداث روسيا مدهشة ومأساوية". في الوقت نفسه فقد خشيت من احتمال حكم البولشفيك ودانت العنف الذي مارسه لينين وتروتسكي ضد الناس الذين وقفوا ضد الثورة. إن استعمال البلاشفة للارهاب في نظر لوكسمبورغ هو تعبير عن "الضعف" السياسي واختفاء الأبراء أربكها بصورة كبيرة.

في كانون الثاني ١٩١٩،وبالضد من رأيها الأفضل، منحت دعمها إلى الانتفاضة الشيوعية في برلين. وكان التحالف السباراتكي اليساري- الذي أسسته- يأمل في إعادة نجاح ثورة أكتوبر وقد تم سحقه بقسوة من قبل "الفرايكورب" الموالي لهتلر. ضربت روزا بالهروات إلى أن فارقت الحياة من قبل القوميين وألقيت جثتها في قناة "لاندفير" بين ما يسمى شرق برلين وغربها. وكانت في السابعة والأربعين من عمرها. أشار أحد الأشخاص قائلاً: " العاهر القديمة تسبح الآن". ولم يبادر أي شخص في التحري في جريمة قتل "روزا الحمراء".

في الثلاثينات وضع ستالين اسمها في القائمة السوداء إذ سخر من عقيدتها البورجوازية التي سماها "اللوكسمبورغية". وقد أعيد الاعتبار لها بعد عام ١٩٥٦ حين شجب خروشوف بصورة علنية ستالين. وأحد أشهر شعاراتها "الحرية هي أيضاً حرية أولئك الذين يفكرون على نحو مختلف" قد تم رفعه من قبل الطلاب المحتجين في ألمانيا الشرقية في عام ١٩٨٨ قبل سقوط جدار برلين بعام واحد. وفي العام نفسه قامت مارغريته فون تروتا بإخراج فيلم عنها بعنوان "روزا لوكسمبورغ".

إن إصرار روزا على العدالة الاجتماعية هو وثيق الصلة الآن بالأزمة المالية العالمية. ويبحث عملها النظري الرئيس "تراكم رأس المال" في مواجهة إغراء السوق. ولكونها ديمقراطية عميقة فقد كرهت روزا ما يدعى "العقلية الألمانية" وسمعة الفضولية وترى دورها في جعل ألمانيا مثل روسيا. كانت دقيقة في الإجابة على رسائلها وأرسلت المئات من الرسائل الخطية إلى الأصدقاء والعشاق والزملاء وكان بعضها طويلاً. إن حاجتها للكتابة كانت شديدة وكتبت وكأنها تفكر بصوت عال فكانت الكلمات تنهمر. كتبت معتذرة إلى صديق صحفي عام ١٨٩٨: "فليغفر لي الرب على قصيدة النثر هذه ذات النوعية الرديئة!".

في حياتها الشخصية عرضت حساسية الطبقة الوسطى خلافاً لسياستها القتالية. إن منظر النساء على الدراجات الهوائية وجدته "غير سار جمالياً" وأحجمت عن الظهور. ولكونها مقاتلة وخطيبة أكثر منها إحصائية عديمة الحيوية فقد ناصرت قصية عمال مناجم الفحم في بولندا وألمانيا وصناع الأحذية والخياطين والعمال المؤقتين. إن اشتراكيتها تعلو فوق كل الأيديولوجية الرفاقية التي تجد في طلب خطاب الظلم. إن هذه الرسائل تعكس القلق الشخصي من الخيانة والخطر السياسي. وكانت معرضة لخطر رصاصة الاغتيال حين تكلمت في جمهور مكون من ٥٠٠٠ شخص.

صدور رسائل روزا يتطابق مع الذكرى المئة والأربعين لمولد روزا في آذار ١٨٧١. وهي تقترب من الطريقة التي تتحدث بها هذه المرأة الرائعة لناسها المحبين وأصدقائها. وربما للمرة الأولى في إنكلترا تبرز روزا بمجملها من ظلال الستالينية والسير الذاتية السابقة. إنه سجل رائع مدهش جاء في حينه بشكل مؤثر.

O K

" O.K": القصة بعيدة الاحتمال لأعظم كلمات أمريكا"
تأليف: الآن ميتكالف
ترجمة: هاجر العاني

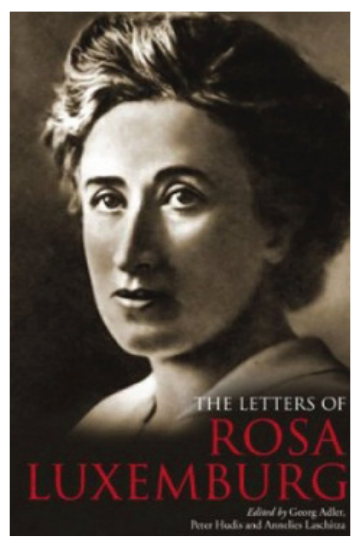

كيف أصبحت كلمة من حرفين هي أنجح اختراعات أمريكا؟ المؤلف يسبر غور المسألة.

فهذان الحرفان، جنباً الى جنب او منفصلين (او غير منفصلين) بنقاط – يجيبان على الكثير من الأسئلة ويصفان حالات لا تعد ولا تحصى. فعندما يكون يومك خالياً من الأحداث فإن "OK" هو كل ما تحتاج الى قوله عنه، من ناحية أخرى توصل الكلمة انتقاداً حاداً عندما تكون هي جلّ ما تستطيع حشده لتخبر شقيقتك بما تظنه في صديقها الجديد، ولا يتمتع أي اختراع – ربما ما عدا الحزام المطاطي – بالقدرة المطاطة لـ "OK".

لكن هل هي "أعظم كلمات أمريكا"؟ هذا ما يؤكده الآن ميتكالف في العنوان الثانوي لكتابه الجديد "O.K.: القصة بعيدة الاحتمال لأعظم كلمات أمريكا" وهو يمضي أبعد أيضاً قائلاً إن الكلمة هي ردنا على شكسبير (أه. لست OK (مرتاحاً) لذلك الأمر).

ويكتب ميتكالف، وهو بروفسور لغة انكليزية وسكرتير تنفيذي في (جمعية اللهجة الأمريكية) قائلاً "يقال انها أكثر الكلمات تكراراً في النطق (او الطباعة) على الكوكب وهي اكبر حتى من أول كلمات الرضيع "ما" و"هما مجرد حرفين بسيطين.. من أصل متواضع... وُلدا كمزحة واهية "...

والتوصل إلى الأصل المتواضع أمر مخادع ما دام هناك الكثير من الشائعات حوله، وفي سير عملية مراجعة النظريات المؤكّدة يعتبر كتاب ميتكالف رسالة تذكير للطبيعة المتحررة من الجنون للغة الانكليزية، بل انه خليط ملخبطة من التعارضات بين اللغات والتعابير الدارجة، فانظر ان كنت تستطيع انتقاء الأصل الحقيقي لـ "OK" (حسب ما يذكره ميتكالف) من الأصول المنحولة:

– فرن في شيكاغو اسمه (أو. كيندال وأبناؤه) ختم بسكويت الجيش بأول حرفين من اسم الشركة.

– فران في بوسطن اسمه (أوتو كيميل) فعل ذات الشيء بكعك الفانيلا الذي كان يصنعه.

– الكلمة تنشأ بكلمة من لغة (تشوكتاو) (احدى لغات السكان الأصليين في أمريكا) هي "أوكيه" وهو فعل يعني "هذا صحيح".

–الحرفان الأولان (او) و(كي) تم استخدامهما في مقالة صحفية نشرت عام ١٨٣٩.

وكمثل اثارة الكلمات الاخرى ظهرت "OK" للمرة الاولى في صحيفة بوسطن مورننغ بوست في ١٨٣٩/٣/٢٣، وقد كانت مزحة من محرِّر، وهي مختصر لنسخة خاطئة التهجئة لعبارة"all cor-rect" ("كل شئ مضبوط"). انها كسرة من خيبة امل إلا ان ميتكالف يمضي بشكل مقنع ليبين الكيفية التي ازدهرت بها الكلمة بفضل ولع بالاجزاء الطنانة لمختصرات الامة وفيما بعد وبسبب فعاليتها في الرسائل البرقية.

كذلك تبادلتها واحتفلت بها الجماعات الاجتماعية (مثلاً أصبحت صيحة مازحة من مؤيدي الرئيس مارتن فان بيورن المعروف بـ"Old Kinderhook" أولد كندرهوك (موقع للعب الغولف))، وكما ان أصلها المتواضع قد تحدته قصة أعظم مفادها انها تم استحداثها في محبرة زعيم امريكي آخر هو أندرو جاكسون وهو متهجئ سئ بشكل سئ الصيت (يقول ميتكالف كان "لديه عزم اكثر من التهجئة")، وتمضي القصة فتقول ان "أولد هيكوري" (شجرة الجوز القديمة) يُظهر موافقته على أية وثيقة بالتوقيع بالحرفين الاولين "O.K" واللذين يُعتقد بأنهما تقوم مقام "Oll Korrect".

ويقتفي ميتكالف أثر"OK" في الثقافة الشعبية والأعمال والأدب ويبين لنا كيفية تطورها وهي تتصرف ككائن حي مجهري يجزئ نفسه الى اشكال جديدة غريبة، وإلى جنب "OK" (أو كي) الخاصة بالطبقة العاملة هناك "okay" (أو كاي) ذات المظهر المهذب و"A-OK" (أ أو كي) الرياضية و"okie-dokie" (أو كي دوكي) التي تبدو حمقاء وبالطبع نسخة اضعف أيضاً تستخدَم في الرسائل النصية الا وهي "K" (كي).

ويقول ميتكالف ان "OK" متأصلة في الشخصية الامريكية وهي كلمة ينبغي ان تلهمنا بالتغلب على الخلاف ما دامت "تمثل النقص الذي تغلب بنجاح على القهر، بل التهجوء الخاطئ الصارخ وليس عرقلتها من ان تصبح أنجح اختراعات أمريكا".

وكتاب ميتكالف هو اضافة ممتعة الى حمولة رفوف من الكتب مما يحثنا على إعادة النظر في الأشياء اليومية – من لأدوات الى القمر الموجود في السماء إلى الهواء الذي نتنفسه – وكتابه في الواقع ليس ممتعاً وحسب – هذا صحيح، انه أكثر من OK (جيد).

عن النيويورك تايمز